

205660 - لماذا فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول البعثة ، وكم كانت مدته ؟

السؤال

لماذا غاب الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وكم مدته غياب الوحي ؟ وماذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام خلال انقطاع الوحي ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

فتر [يعني : انقطع] الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين :

مرة في أول نزول الوحي ، ثم نزلت بعده سورة المدثر ، ومرة بعد نزول عدة سور من القرآن ، ثم نزلت بعده سورة الضحى . فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ثُمَّ فَتَرَ عَنِ الْوَحْيِ فِتْرَةً ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قَبْلَ السَّمَاءِ ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجِئْتُ مِنْهُ ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ : زَمِلُونِي زَمِلُونِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) إِلَى فَاهُجُرْ) .

رواه البخاري (3238) ، ومسلم (161) .

قال النووي رحمه الله :

" قوله (ثم تتابع الوحي) يعني بعد فترته ، فالصواب أن أول ما نزل (اقرأ) وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي (يا أيها المدثر) انتهى .

وروى البخاري (4953) حديث عائشة في بدء الوحي وفيه إخبار النبي صلى الله عليه وسلم ورقة بما رأي ، وقول ورقة له : " إِنَّ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا " قالت عائشة : " ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفَى ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ " . وهذه هي المرة الأولى .

وروى البخاري (4950) ، ومسلم (1797) عن جندب بن سفيان رضي الله عنه ، قال : (اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثًا - ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ ، لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مِنْذُ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثَةٍ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) .

وهذه هي المرة الثانية .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" الْفَتْرَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي سَبَبِ نُزُولِ (وَالضُّحَى) : غَيْرَ الْفَتْرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي إِبْتِدَاءِ الْوَحْيِ ، فَإِنَّ تِلْكَ دَامَتْ أَيَّامًا ، وَهَذِهِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا " .

انتهى من "فتح الباري" (8/710) .

وقال ابن عاشور رحمه الله :

" وَاحْتَبَّاسُ الْوَحْيِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَعَ مَرَّتَيْنِ :
أَوَّلَاهُمَا : قَبْلَ نُزُولِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ أَوْ الْمُزْمَلِ ، وَتِلْكَ الْفَتْرَةُ هِيَ الَّتِي خَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ قَدْ انْقَطَعَ عَنْهُ الْوَحْيُ ، وَهِيَ الَّتِي رَأَى عَقِبَهَا جِبْرِيلَ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .
وَتَابِعَتْهُمَا : فَتْرَةٌ بَعْدَ نُزُولِ نَحْوِ مِنْ ثَمَانِ سُورٍ ، أَيِ السُّورِ الَّتِي نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَتْرَةِ الْأُولَى فَتَكُونُ بَعْدَ تَجْمُعِ عَشْرِ سُورٍ " انتهى من "التحرير والتنوير" (30/ 396) .

ثانيا :

اختلف العلماء في مدة فترة الوحي الأولى ، فقليل ثلاث سنين ، وقليل قريبا من سنتين ، أو سنتين ونصف ، وقليل اثنا عشر يوما ، وقليل خمسة عشر يوما ، وقليل أربعون يوما ، وقليل غير ذلك .

قال الحافظ رحمه الله :

" وَقَعَ فِي تَارِيخِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ مُدَّةَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ كَانَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَبِهِ جَزَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ " انتهى من "فتح الباري" (1/ 27) .

وقال ابن كثير :

" قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَتْ مُدَّةُ الْفَتْرَةِ قَرِيبًا مِنْ سَنَتَيْنِ أَوْ سَنَتَيْنِ وَنِصْفٍ " .
انتهى من "البداية والنهاية" (4/ 42) .

وقال الرازي رحمه الله :

" وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ مُدَّةِ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ ، فَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : اثْنَا عَشَرَ يَوْمًا ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا ، وَقَالَ السُّدِّيُّ وَمُقَاتِلٌ : أَرْبَعُونَ يَوْمًا " انتهى من "تفسير الرازي" (31/ 192) .

وقال ابن عاشور :

" وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مُدَّةَ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ فِي الْفَتْرَةِ الْأُولَى كَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا " .
انتهى من "التحرير والتنوير" (30/ 396) .

أما فترة الوحي الثانية فكانت ليلتين أو ثلاثا ، كما تقدم في حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه .
وقال ابن كثير رحمه الله :

" نَزَلَتْ سُورَةُ الضُّحَى وَالضُّحَى بَعْدَ فِتْرَةٍ أُخْرَى ، كَانَتْ لَيْلِيَّيْنِ سِيرَةً ، كَمَا ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " وَغَيْرِهِمَا " انتهى من "البداية والنهاية" (41 /4) .

ثالثا :

كانت الحكمة من فتور الوحي مدة : أن يذهب الروح الذي كان قد وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه لما نزل عليه جبريل عليه السلام أول مرة ، وليحصل له التشوف إلى عودة الوحي والاشتياق إليه ، ولتنزل السلوى على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعالى ، فيزداد إيمانا وثباتا ، وليبتلي الله الناس فيثبت المؤمنين ويضل الكافرين .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" وَفُتِّرَ الْوَحْيُ : عِبَارَةٌ عَنْ تَأْخُرِهِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِيَذْهَبَ مَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَهُ مِنَ الرُّوحِ ، وَلِيَحْصُلَ لَهُ التَّشَوُّفُ إِلَى الْعُودِ " .

انتهى من "فتح الباري" (27 /1) .

وقال مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ : " وَفُتِّرَ الْوَحْيُ فَقَالُوا : لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَتَتَابَعَ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَاهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَالضُّحَى) وَ (أَلَمْ نَشْرَحْ) بِكَمَالِهِمَا " .

انتهى من "فتح الباري" (710 /8) .

رابعا :

لا يعرف على وجه التحديد ماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم خلال فترة انقطاع الوحي ، إلا أن المقطوع به أنه أحزنه ذلك ، وأنه تشوف إلى عودته ، ورغب في الأنس به بعد الذي أصابه من الوحشة والفزع أول الأمر .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رحمه الله :

" ثُمَّ فُتِّرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِتْرَةً مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَأَحْزَنَهُ ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ بِسُورَةِ الضُّحَى ، يُقَسِّمُ لَهُ رَبُّهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ ، مَا وَدَّعَهُ وَمَا قَلَاهُ " انتهى من "سيرة ابن هشام" (225 /1) .

وما ذُكر من أنه صلى الله عليه وسلم رغب مرارا في الانتحار والتردي من رءوس شواهد الجبال بسبب ما أصابه من الحزن لذلك : فباطل ؛ كما تقدم بيانه وتقريره في إجابة السؤال رقم : (152611) .

والله أعلم .